سينما

«كوليت» تنتزع «أوسكار»

انفعالات أقوى من التوثيق

في 25 إبريل 2021، فاز «كوليت» بـ«أوسكار» أفضل فيلم وثائقي قصير، وهو يروي حكاية عجوز فرنسية تزور مكان موت شقيقها في معتقل نازيّ

نديم جرجوره

في الحرب العالمية الثانية (1939 . 1945)، حكايات غير منتهية. يعثر كثيرون فيها على ما يمسّ كيانهم الإنساني والأخلاقي والثقافي، فيشتغلون عليه لتوثيقه وتقديمه إلى العالم، درساً في تحصين الذاكرة من الاندثار، والناس من النسيان. اليهود بارعون في نبش حكاياتٍ تؤكّد محرقةً معروفة تفاصيلها وخباياها. لآخرين مصائب جمّة فيها أيضاً. فالتعذيب والتنكيل والتغييب والقتل أمورٌ يُعانيها مقاومو النازيين في بلدانٍ يحتلّونها. أشكال القتل النازيّ متنوّعة. الجُرم واحدٌ.

حكاية جديدة ترويها كوليت ماران. كاترين (25 إبريل/ نيسان 1929)، بعد 75 عاماً على حدوثها. تنخرط في المقاومة الفرنسية، كشقيقها جان . بيار، الذي يُعتقل لاحقاً، ويُرحَّل إلى معسكر اعتقال في ألمانيا، اسمه «دورا»، يُعرف لاحقاً بـ«نوردْهاوزن دورا». المعسكر مصنع عسكريّ نازيّ لصُنع صواريخ V2، يعمل فيه بالإكراه 60 ألف سجين من 21 بلداً، ويُقدَّر عدد الوفيات منهم بـ20 ألفٍ. موت جان . بيار (17 عاماً) حاصلٌ في 22 مارس/ آذار 1945، قبل 3 أسابيع فقط على تحريره على أيدي جنود أميركيين. هذا في «كوليت» (2020)، للأميركي أنتونيو جياكينو (1968). الفائز بـ«أوسكار» أفضل فيلم وثائقيّ قصير، في النسخة الـ93، المُقامة في 25 إبريل/ نيسان 2021. تبلغ السيّدة ماران . كاترين 92 عاماً. تظهر أمام كاميرا روز بوش صلبة، لكنّ انفعالها إزاء مأساتها باقٍ بحدّة وحيوية. رفضها زيارة المكان الألمانيّ لوفاة شقيقها صامدٌ سنين مديدة، لكنّ لوسي فووبْل تحرّضها على ذلك. الشابّة (17 عاماً) مهتمّة بتاريخ الحرب والمقاومة، وتعمل في متحفٍ تاريخي، وتريد توثيق الحكاية. فتُرافق العجوز في رحلةٍ برّية من «كاين» الفرنسية إلى «نوردْهاوزن» الألمانية. الجولة صعبة. الذكريات، رغم قلّتها، ثقيلة الوطأة. التوتّر الغاضب، الذي تُبديه كوليت أمام عُمدة البلدة الألمانية أثناء تكريمه لها، مُثير للتساؤل عن حالةٍ ملتبسة: أهذا توتّر نابعٌ، فعلاً، من ثقل ذكريات قديمة، ومناخ مؤثّر، وحكاية قاسية؛ أمْ أنّ اقتناص فرصةٍ كهذه ضروريٌّ، بالنسبة إلى امرأة عجوز فرنسية، تبدو متعَالية على جارٍ ألمانيّ، يتمسّك بذاكرته بهدف عدم نسيانها، وبمسؤوليته عن أفعالٍ نازيّة يريدها شواهد على معنى الجريمة، يرتكز عليها ألمان كثيرون، في مسارهم نحو المستقبل؟

اللقطة تلك مزعجة. تكريمها نابعٌ من التزام أخلاقيّ ألماني إزاء مقاومة الجرم النازيّ. معسكر الاعتقال في «دورا» غير مختلفٍ كثيراً عن المعسكرات الأخرى، رغم أنّه مصنع صواريخ. الموت فيه متأتٍ من تعذيب ومهانة وإرهاق وانعدام كلّ حسٍّ بشريّ. لكنّ «كوليت» غير متوقّف عند لحظة كهذه، ربما تكون صادقة. معنى انفعال كوليت غامض، كسببه الفعليّ. لكنّ الكاميرا تلتقطه، فتبقى في سياقٍ دراميّ، يريد تصالحاً ما مع ماضٍ أليم. الرِحلة برمّتها عادية، سينمائياً. المفردات الوثائقية لا جديد في اشتغالاتها، ولا إضافات جماليّة. اللقاءات قليلة، فالأهمّ كامنٌ في كوليت، محور كلّ شيء. الأرشيف القليل متمثّل بأشرطة (بالأسود والأبيض) للمعسكر . المصنع، ولأمكنة تُصبح الآن أمثلةً تُذكِّر بالعار النازيّ، فتمنح الألمان اغتسالاً منه، والعالم تنبيهاً إليه. المعلومات المكتوبة بين لقطات مختلفة ضرورية (محطات في تاريخ المعسكر . المصنع، أسماء أمكنة وشخصيات، متاحف... إلخ.). المدّة القصيرة (24 دقيقة) منبثقةٌ من صِغر الحكاية، وقلّة عدد صانعيها والشاهدين عليها، واكتفاء الحدث بمقتل مُقاوم فرنسيّ في معسكر اعتقال نازيّ. تذرف كوليت دمعاً، فالمُصاب كبيرٌ بالنسبة إليها، رغم عيشها مع شقيقها أقلّ من 15 عاماً. لا ذكريات وفيرة بينهما، باستثناء مرحلة قصيرة من اشتغالهما في المقاومة الفرنسية للنازيين. جان . بيار (1926)، يُعتَقل عند بلوغه 17 عاماً. بعد عامين، يموت في المصنع. العجوز والشابّة تزوران المكان معاً، وأمكنة أخرى محيطة به، لمعاينةٍ عمليّة، يُفترض بها منح العجوز شيئاً من أثر شقيقها، وإعطاء الشابّة صورة أخرى للذاكرة، أكثر واقعية وحسّية. 24 دقيقة كافية لحكاية مُختصرة في عمر حرب. لكنّ موت الشقيق جُرمُ نازيّ، وفعل المقاومة . الذي يلتزمه . أساسيّ في تاريخ بلدٍ وأناس.

> رحلة سينمائية عادية ومفردات وثائقية معتادة لا جديد فيها

المأزق الأخلاقيّ غير معقود على الجُرم النازيّ فقط. القيادات الأميركية والسوفييتية (السابقة) والفرنسية تتعاون مع نازيين عاملين في المصنع، بعد تحريره. القيادة الأميركية تمحو آثاراً كثيرة مرتبطة بالمصنع، فجنودها أول الداخلين إليه. الحاجة إلى معلومات ووثائق أهمّ من ذاكرةٍ، تبدو أقوى من كلّ تغييب، طالما أنّ جيلاً تلو آخر يتميّز بأفرادٍ توّاقين إلى المعرفة. اقتصار «كوليت» على 24 دقيقة نابعٌ من قلّة المعطيات، فجان . بيار مقتولٌ في سنّ باكرة، وكوليت تُكمِل حياةً عادية لامرأة، تهتمّ بوالدتها حتى وفاتها، وتعمل في منشآتٍ فندقية. هذا غير واردٍ في الفيلم، المرتكز أساساً على زيارة مؤجّلة منذ سنين، تقوم بها عجوزٌ، تريد تحرير قلبها وروحها من وطأة الألم، فهذا شقيقها، وموته بظرفٍ كهذا قاس.

للدمع حضورٌ، فالعجوز منفعلةٌ، ولوسي متأثّرة، رغم جمال الطبيعة والمكان الألمانيين، في راهنٍ يُصرّ على ذاكرة أمكنة وأناس. لذا، يبدو «كوليت» انفعالياً رغم معطيات التاريخ والوقائع المدرجة في سرده، إذْ يُراد له تأثير عاطفي إزاء جُرمٍ نازيّ، يحضر في ذاكرة وثقافة وعيشٍ، وإنْ بدرجات مختلفة. ربما لهذا كلّه، ينتزع «كوليت» جائزة «أوسكار» في زمن كورونا، وارتباكات «أكاديمية فنون الصورة المتحرّكة وعلومها» إزاء مسائل حسّاسة، كالأقليات والمرأة والأعراق والماضي، وتخبّط هوليوود، أحياناً، في علاقتها بتاريخ أميركا.

المخرج أنتوني جياكينو والمنتجة أليس دويارد في «أوسكار 2021» (كريس بيزلو ـ بوول/ Getty)

مارك فيرو: السينما وثيقة تاريخية يُعوَّل عليها

أشرف الحساني

رحيل المؤرّخ السينمائي الفرنسي مارك فيرو (1924 . 2021) مؤلم ومُفجعٌ في أكثر من صعيدٍ، لكونه أحد العلامات الفكرية الأخيرة، التي طبعت النصف الثاني من القرن الـ20 على مستوى التأريخ الفكري للصورة السينمائية ومُتخيّلها، إلى جانب ريجيس دوبري وإدغار موران، رغم أنّ منطلقاتهما للتفكير في الظاهرة السينمائية مختلفة، فدوبري. في كتابه «موت الصورة وحياتها» . لم يتناول السينما إلاّ بشكل شحيح، وفق مسار فلسفي لتطوير مفهوم الصورة، منذ ما قبل الميلاد إلى اليوم؛ بينما اعتنى موران بالسينما من وجهة نظر فلسفية وتحليلية. أمّا فيرو، فمختلف كلّياً عنهما، لأنّ المعرفة التاريخية أساس نظري لمفهوم الكتابة لديه، ومنه تتبلور الرؤى والأفكار والمواقف، وتنحت وهجها في مواطن يباب، ظلّت في حكم اللامُفكّر به في الفكر المعاصر.

لكنّ أفكار مارك فيرو لم تجد طريقها في التاريخ الفرنسي المعاصر، لغاية الآن، بسبب ممانعة قويّة ودائمة لمؤرّخين ونقّاد وباحثين، تصدّوا لفكرة «الفيلم كوثيقة بصريّة»، إذْ وجدوها سابقة عن الزمن الذي يعيشون فيه، خاصّة أنّ وعيهم المعرفي الكلاسيكي لم يُخوِّل لهم سوى معرفة أنواع أخرى من الوثائق التاريخية، كالمعاهدات والاتفاقيات وسجّلات المحاكم واللقى الأثريّة.

هذا الرفض المُميت للوثائق البصريّة، كمصدر من مصادر التاريخ المعاصر، يُضمر في طيّاته اعترافاً هزلياً باستمرار المدرسة المنهجية أو الوضعية، كما تبلورت ملامحها مع سينيوبوس ولانغوا، الداعية إلى رفض المصادر التوثيقية، التي تخرج عن مفهوم الوثيقة الرسمية، وعدم انفتاح التاريخ على المعارف الأخرى من العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي انفردت بها «مدرسة الحوليات»، بما أتاحته من خَرقٍ وتجديد على مستوى الكتابة التاريخية، وفَتح آفاق جديدة على مستوى التفكير والتأريخ.

ربما يجد القارئ غرابة في استعمال مصطلح «فكر» بدلاً من «تاريخ»، لكنّ هذا يُعتبر وعياً بالمُنطلق النظريّ المنهجيّ الذي مثّلته كتابات مارك فيرو، المنتمي فكرياً إلى «مدرسة الحوليات». هذه الأخيرة أدّت دوراً كبيراً في توسيع الوثيقة التاريخية، وانفتاحها على وثائق أخرى، كالكتابات المنقوشة، والمسكوكات، والأدب، والوثائق المادية واللامادية، والأرشيف البصري، المُتمثّل في فنون الصورة.

عُرف فيرو بأنّه أكثر المُؤرّخين المهتمين بالكتابة والنقد والتنظير والتوثيق للسينما، باعتبارها وثيقة تاريخية، يستطيع المُؤرّخ عبرها صوغ أفق معرفي، أو توثيق تاريخيّ، أو إعادة تناول قضايا وإشكالات في مُنجز سينمائي، أمام ما تزخر به الصورة السينمائية من آفاق، في التوثيق (وليس التأريخ)، وتخييل مواقف وأحاسيس وصُوَر في قالب سينمائيّ، يحفر في مكبوت المجتمعات المنسيّة، والمُنفلتة من قبضة الحضارة والحداثة والتحديث.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

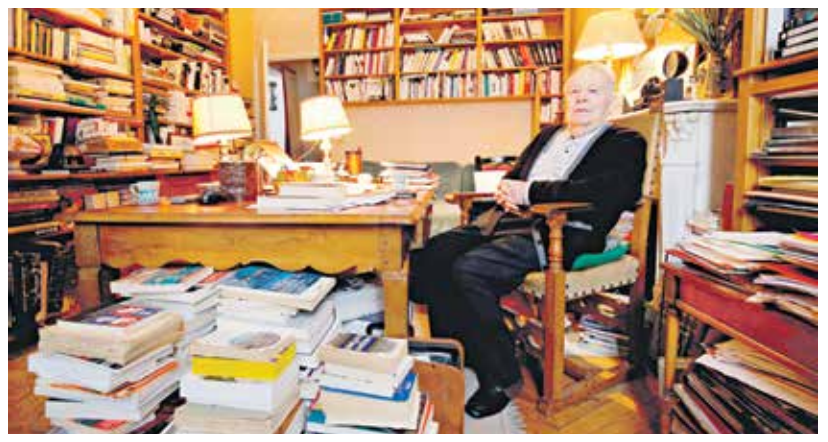

مارك فيرو في منزله الباريسي عام 2015 (فرنسوا غيّيو/فرانس برس)

أقوالهم

لم أكن أعلم كيف سأُصوّر دوري في «دروس لغة» (تجري أحداثه عبر تطبيق «زوم»، كوسيلة مستخدمة في زمن كورونا). لم أكن أعلم ما إذا سيكون جيداً، أو إذا كان الناس سيموتون من الضجر وهم يشاهدونه. تعبنا من «الزوم» في الفترة الأخيرة، لكننا اعتدناه كلغة نفهمها.

ناتالي موراليس

في «الأب»، أدهش أنتوني هوبكنز (الصورة) العالم بدور أنتوني، العجوز المُصاب بألزهايمر. يحمل النصّ المسرحي على كتفيه، ويعطيه شكلاً سينمائياً خالصاً، بعيداً من المسرح، ويُفكّك دواخل النفس البشرية، مُضيفاً إلى «الكاركتِر» طبقات من خبرته التمثيلية العميقة. هذا دورٌ لن يكون سهلاً محوه من الذاكرة.

هوفيك حبشيان

جان . بيار ملفيل (الصورة) سينمائيّ فرنسي، إنْ لم يكن بأشكاله ولغته السينمائية، فبالتأكيد بأجواء أفلامه. أحد أكبر السينمائيين الفرنسيين وأنجحهم. صلة وصل السينما الفرنسية بالهوليوودية، من دون أن يكون سينمائياً أصلاً، ومن دون أن يبدأ مساره بدراسة السينما، أو بخوض مهنها المختلفة.

إبراهيم العريس

أفعالهم

Froid Mortel للإسباني **لويز كويلِز** (الصورة): مساء يوم شتائي، يجد رجل نفسه وحيداً في العتمة والبرد، في طريق فرعية كالحة السواد، ما يدفعه إلى مواجهة مخاطر غير متوقّعة، بعضها ينبع من ماضيه وروحه، فيضطرّ إلى مواجهة مخاوفه أيضاً للنجاة بنفسه من موت شبه مؤكّد. مطاردات وتشويق في ليلٍ دامس، يستمرّ إلى الصباح.

The Map Of Tiny Perfect Things للأميركي إيان صامويلس، تمثيل **كاترين نيوتن** (الصورة): تجربة خارجة عن المألوف يختبرها المراهق مارك، تفرض عليه أن يعيش اليوم نفسه كلّ يوم. في المكتبة، يلتقي مارغريت، التي تعيش التجربة نفسها أيضاً، فيتّفقان على إيجاد مخرج لهما من هذا المأزق.

Music للأوسترالية سِيَا، تمثيل **كايت هُدسن** (الصورة): إثر خروجها من مرحلة تأهيل نفسي وجسدي، يُفرض على «زو» أنْ تُدرّب أختها المُصابة بالتوحّد على الموسيقى. تعيش في عالم خيالي، لكنّها تبحث عن سُبل لتحمّل المسؤولية الجديدة، فتطلب المساعدة من جارها، الذي يُخبرها أنّه يمكن التغلّب على المصاعب بمساعدة صديقٍ.

أخبار

◆ ذكرت معلومات صحافية غربيّة، منشورة مؤخّراً، أنّ مسؤولي «مهرجان برلين السينمائي الدولي (البرليناله)» يبحثون في تنظيم دورة في الهواء الطلق، في يونيو/ حزيران المقبل، جرّاء تفشّي وباء كورونا، الذي دفعهم إلى تنظيم الدورة الـ71 افتراضياً بين الأول والخامس من مارس/ آذار 2021، علماً أنّ الجوائز ستُسلّم في النسخة الصيفية، في حال تمّ التوافق عليها، وعلى موعدٍ ثابتٍ لها.
أضافت المعلومات أنّ المسؤولين يتفاوضون مع سلطات العاصمة الألمانية بخصوص كيفية عرض الأفلام في النسخة الصيفية.
إنْ يبقى قرار إغلاق الصالات سارياً، ما يعني «عدم عرضها في أمكنة مغلقة».
وبحسب مديري المهرجان، مارييت ريسنِك وكارلو تشارتريان، فإنّ «سلامة الجميع، والحدّ من تفشّي الوباء، يُعتبران أولوية لنا».
في بيانهما المشترك، ورد أنّ مسؤولي المهرجان «يرغبون في بحث احتمال تنظيم فاعلية ثقافية، مع مراعاة إجراء اختبارات الوباء».

◆ تمكّن فيلم التحريك الياباني، «ديمون سلاير»، من تحقيق «أفضل افتتاح سينمائي لفيلم بلغة أجنبيّة في أميركا الشمالية»، بحصده 19 مليوناً و500 ألف دولار أميركي في اليوم الأول لعرضه في الولايات المتحدّة الأميركية وكندا، وفقاً للموقع الإلكتروني «إكزيبتير ريلايشنز». إنتاج الفيلم عائدٌ إلى «أنيباكس»، التابعة للمجموعة اليابانية «سوني»، والرقم المذكور يُعتبر، بحسب متابعين واختصاصيين، «إنجازا جديدا»، بعد تحقيق الفيلم إيرادات قياسية في شبّاك التذاكر في اليابان، إذْ ذكرت معلومات صحافية أنّه حقّق 365 مليون دولار أميركي فيها، نهاية ديسمبر/ كانون الأول الماضي.
بهذا، تفوّق «ديمون سلاير» على «هيرو» الصيني، لتشانغ إيمو، بتحقيقه 17 مليوناً و800 ألف دولار أميركي في عرضه الافتتاحي أيضاً، في أغسطس/ آب 2020. ويتناول الفيلم حكاية تانجيرو، المراهق الذي عاش في اليابان في حقبة تايشو (1912 . 1926)، وأصبح صياداً للشياطين، بعد مقتل عائلته على أيدي تلك المخلوقات المتعطّشة لدماء البشر.